



الأرض وما عليها!!

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa182-100917.pdf>

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqsamarrai@gmail.com

للأرض إرادتها وللخلق إرادته , ولا بد من توازن وتوافق بينهما لكي تمضي معادلة التفاعل في دورتها السرمدي الدوار.

وأي اضطراب أو إنحراف أو خلل في معايير وعناصر التوافق المتبادل , يتسبب بتداعيات ذات نتائج تتناسب درجة خطورتها مع درجة التغيرات الحاصلة بينهما , فإذا إختل توازن ما عليها تأثرت بذلك وتفاعلت بموجب آليات ترميم أو إصلاح الخلل , والعكس صحيح.

وهذه العلاقة المتبادلة ما بين سفينة كونية سابحة في فضاء شاسع , وما تحمله من مخلوقات تتناسى مصيرها ومسؤوليتها تجاهها , علاقة منضبطة ومحكومة بنواميس وقوانين مثلما الكون بأسره يخضع لإرادة ومعايير الإنضباط الدقيق الحكيم.

فالأرض مرهونة المصير بما عليها , وما عليها مرهون بها , ولا بد من صيرورات توافقية لتحقيق الديمومة المكانية والزمانية , وإلا فأن هذه السفينة قد تستحيل هباءً منثورا , وتكون طعاما لغيرها من الموجودات الكونية المفترسة المتربصة , المتصارعة في فضاءات لهيب وحمم متناثرة في أرجاء ما لا يُدرك.

والمرعب في الأمر أن الأرض صارت تحمل على ظهرها ما يقارب الثمانية مليار من البشر , الذين في معظمهم يجهلون مسؤوليتهم تجاه بيتهم الكبير ووطنهم الصغير , وكل منهم يحسب أنه المخلوق الذي عليه أن يمتلك الأرض وما فيها , والعديد منهم قد صار بحوزته ما يفنيها ومن عليها , ولهذا فأنها غاضبة ومرتعبة وفي محنة إتخاذ قرار تقرير المصير.

فالأرض في صراع بقائي كوني التفاعلات , ولا يمكنها أن تسمح بما يزعزع قدراتها على التواصل والحياة.

فهل أدرك البشر ما يواجهه من تحديات جسام!!
وهذه بعض الإقتربات من عقل الأرض ونفسها:

الوبائية الأرضية!!

التوازن قانون أزلي أبدي يتحكم بالموجودات الكونية والأرضية , فهو الذي يحقق التواصل ويحافظ على الطاقة اللازمة للحياة بأنواعها.

وفي حديقة الدار الخفية ما أن تتكاثر الأرناب حتى تتسلط عليها الطيور الجارحة والثعالب , وما أن تبدأ فراخ السنجاب بالنزول إلى الأرض حتى تتناهبها الثعالب لبطئ حركتها , وكذلك الفئران ما أن تزداد عددا حتى تأتيها الثعابين وغيرها لأكلها , وهكذا دواليك.

وفي عالم البشر الذي تمكن من السيطرة على الأمراض السارية والمعدية وإختراع اللقاحات اللازمة للوقاية منها , تسلطت عليه الحروب الفتاكة بما ابتكره من أسلحة أوتوماتيكية وإفجارية ذات قدرات قتالية فائقة , فهي تقتل المئات والآلاف والملايين في غضون لحظات , وكأن الأوبئة الجرثومية قد تحولت إلى أوبئة بارودية ورصاصية , وغيرها من مواد القتل وآلاته وأدواته المتطورة إلى ما أبعد من أي خيال.

للأرض إرادتها وللخلق إرادته , ولا بد من توازن وتوافق بينهما لكي تمضي معادلة التفاعل في دورتها السرمدي الدوار

العلاقة المتبادلة ما بين سفينة كونية سابحة في فضاء شاسع , وما تحمله من مخلوقات تتناسى مصيرها ومسؤوليتها تجاهها , علاقة منضبطة ومحكومة بنواميس وقوانين مثلما الكون بأسره يخضع لإرادة ومعايير الإنضباط الدقيق الحكيم.

الأرض مرهونة المصير بما عليها , وما عليها مرهون بها , ولا بد من صيرورات توافقية لتحقيق الديمومة المكانية والزمانية , وإلا فأن هذه السفينة قد تستحيل هباءً منثورا , وتكون طعاما لغيرها من الموجودات الكونية المفترسة المتربصة , المتصارعة في فضاءات لهيب وحمم متناثرة في أرجاء ما لا يُدرك.

ما أوجدته البشرية من وسائل لمحق وجودها يتفوق على ما أوجدته لتتبعيق وبناء حياتها , وهي تقبض على جمراته فنأثما , ولا بد لها ذات يوم أن

ترخي قبضتها وتقضي على وجودها , أي أن البشرية على شفا هاوية الإنتحار المروع الشديد

يبدو أن البشرية تعيش محصر هبوب الأوبئة المتنوعة عليها من جميع الجهات , فالأوبئة الدينية والمعتقدية يتكرر هبوبا بعواصفها وأعاصيرها وزواجعها على مر العصور

وباء الدين المتطرف والغلو الشديد يعصف بالمنطقة العربية خصوصا والإسلامية عموما

الشعوب الغير قادرة على إطعام نفسها والحفاظ على جمال بيئتها وعمرانها تستحضر دواعي وأسباب إنقراضها أو تقليل أعدادها

الأرض تأنس ببشرها السعيد وتسام من بشرها التعيس , والتفاعل ما بين الأرض والبشر حيوي وديناميكي ومتبادل المعطيات

الأرض تغضب وتحزن وتفرح , والبشر الذي يغضب الأرض يلقي جزاءه ويحصد ما بذرت يداه .

المجتمعات التي تريد حياة سعيدة آمنة مستقرة عليها أن تتفاعل مع أرضها بمحبة ومودة وتتجنب ما يغضبها ويحزنها

فما أوجدته البشرية من وسائل لمحق وجودها يتفوق على ما أوجدته لتحقيق وبناء حياتها , وهي تقبض على جمرات فئاتها , ولا بد لها ذات يوم أن ترخي قبضتها وتقضي على وجودها , أي أن البشرية على شفا هاوية الإنتحار المروع الشديد .

ويبدو أن البشرية تعيش عصر هبوب الأوبئة المتنوعة عليها من جميع الجهات , فالأوبئة الدينية والمعتقدية يتكرر هبوبا بعواصفها وأعاصيرها وزواجعها على مر العصور , وقد فعلت فعلها في قارة أوروبا وأمريكا وآسيا , وما هي اليوم تهب وبشراة على مواطن الحضارة الأولى وتسعى لإبادتها , فوباء الدين المتطرف والغلو الشديد يعصف بالمنطقة العربية خصوصا والإسلامية عموما , وهو نهج غريب تفرضه قوانين التوازن والتفاعل المرضي لتقليل الأعداد والحفاظ على قدرات الحياة , وفقا لما تقتضيه موارد الأرض وقدراتها على إعالة ما عليها .

فالتصارع البشري بأنواعه يتناسب عكسيا مع الموارد الأرضية , لأن الأرض عندما تدرك أنها قادرة على إعالة خلقها فأنها تسعد بهم , وعندما تجد أنها مثقلة بهم ولا تستطيع إعالتهم فأنها تبتكر ما يقلل أعدادهم , وهذا قانون أرضي خفي , على البشر أن يدركه لكي يحافظ على سعاده .

فالشعوب الغير قادرة على إطعام نفسها والحفاظ على جمال بيئتها وعمرانها تستحضر دواعي وأسباب إنقراضها أو تقليل أعدادها , لأن الأرض لا تريد من لا يعرف كيف يستثمر مواردها ويتنعم بعطاءاتها , ويعرف كيف يستولدها ما يسعدها وتقخر به وتأنس .

فالأرض تأنس ببشرها السعيد وتسام من بشرها التعيس , والتفاعل ما بين الأرض والبشر حيوي وديناميكي ومتبادل المعطيات , والأرض تغضب وتحزن وتفرح , والبشر الذي يغضب الأرض يلقي جزاءه ويحصد ما بذرت يده .

وهذا ليس تكهنا بل قراءة موضوعية لقوانين الأرض ومساراتها ومعادلاتها التفاعلية , التي على ضوئها تتفاعل مع موجوداتها وتحدد معالم مسيرتها ومنطلقات حاضرها ومستقبلها .

فالمجتمعات التي تريد حياة سعيدة آمنة مستقرة عليها أن تتفاعل مع أرضها بمحبة ومودة وتتجنب ما يغضبها ويحزنها , وأن تتمكن من الإستفادة من الأرض بإطعام نفسها وتحويلها إلى جنان ذات قيمة جمالية وإقتصادية , لكي يتحقق الجريان ما بين ينباع السعادة الأرضية والنفسية والسلوكية عند مخلوقاتنا .

ومن الواضح أن ما يحصل في مجتمعاتنا يغضب الأرض ويحزنها ويؤلمها , مما يساهم في إستحضر ما هو سلبي ووبائي وتدميري لكل من يساهم في صناعة الولايات والتداعيات ويستثمر في الخسران البهتان .

الأرض والهروب !!

أثناء القرن العشرين حصلت أربعة وعشرون حربا كبيرة ما بين الدول ,العشرات من الحروب الصغيرة المتواصلة , ومضى القتال فيها لمدة مئة وأربعة وستون عاما , أي أن البشرية قد أمضت معظم مسيرتها في ذلك القرن متحاربة , وما هدأت الحروب حتى هذه اللحظة .

وقرننا الحالي ومنذ بدايته يعيش حروبا شرسة لا تزال معظمها في ذروتها وتواصلها التخريبي التدميري الفظيع , ومن المقدر أن تمضي البشرية ضعف قرنها في الحروب المتعددة والمتزامنة , فما عادت تكفي حرب واحدة في وقت واحد لتسويق السلاح , وتفريغ مخازنه مما إنتهت صلاحيته وكفائه , وإنما لا بد من أكثر من حرب في ذات الوقت لكي تتواصل شركات الأسلحة بإنتاجها , وبما أن إقتصاد الدول الكبرى يعتمد على السلاح أولا , فأن من واجبها أن تكون خبيرة وماهرة في صناعة الحروب ما بين المجتمعات التي تتناسى مصالحها ويكون من السهل الإيقاع بها وإستنزاف ثرواتها وقتل أبنائها .

وبما أن إنتاجيات شركات الأسلحة في أقصاها فأن التسويق يجب ان يتنامى ويتطور , ولا يمكن

للسلاح أن يكسد , لأنه البضاعة الوحيدة التي يمكن إحتكارها وكسر إرادة الغير بها . وهذا يعني أن النيران لن تهدأ والحروب ستنتامى وتتعد , والقتل البشري سيكون بأرقام هائلة وغير مسبوقه , ففي زمن قصير جدا سيتم إبادة الملايين بأسلحة ترتعب منها الأرض , وتخشى أن تنفجر بسببها وتتناثر , وتفق قدرات تماسكها وآليات تكورها ودورانها . وهذه محنة بشرية أرضية مروعة!!

أهنا الأرض المقهورة بنا!!

أقدم التعازي مسبقا لأمتنا الأرض على ما سيحل بها في القرن الحالي من المصائب والويلات البيئية والبشرية والتدميرية الفائقة التخريب والترويع والفتك بالخلق والحجر . فالأرض وهي في محنة الحروب والتصارعات والإحتراقات النفسية والفكرية والروحية والنفطية والصولات العدوانية على مافياها وما عليها , تجد نفسها أسيرة الشرور ومقيدة بالسوء ومصفدة في أروقة الأحقاد والكراهية والبغضاء , والنيل من الخير والمحبة والألفة الإنسانية . ومع أن المجتمعات الأرضية بدولها تحاول أن تحافظ على سلامة الأرض وصلاحياتها للأجيال المتعاقبة , إلا أن دولا على ظهرها أبت أن ترى ذلك ومضت في سلوكها القاصي بتخريب البيئة الأرضية , وحرمانها من مؤهلات الحياة والبقاء الصالح السليم . فالأرض حاضنة حية تتربى في دنياها الموجودات بأنواعها , وتتواصل في تفاعلاتها ومسيراتها عبر الأجيال المتعاقبة التي تتحمل مسؤولية بعضها , وتحافظ على بيئتها ديمومتها , لكن البشرية ومنذ بداية القرن العشرين إتخذت سبيلا خطيرا ومحتشدا بإبتكار وصناعة الأسلحة الفتاكة بالوجود الأرضي , حتى تمكنت من صنع ما يمكنه أن يزيل ما على ظهرها في غضون دقائق معدودات . ويبدو أن الأسلحة والمتفجرات بأنواعها هي من أخطر الملوثات البيئية , وأشدها تأثيرا وتدميرا للحياة ومسوغاتها فوق التراب , لكن الدول المحتكرة للتصنيع العسكري الفائق التدمير والخراب لا ترى ذلك أمرا مهما , وتفكر بموضوعات أخرى تحسبها هي الأساس , وتريد الحفاظ على البيئة لكنها في تسابق تسليحي متسارع , وفي حالات إبتكارية لحروب متواصلة وغير مسبوقه بشدتها , وما يُستخدم بها من الاسلحة والمتفجرات الفظيعة التأثير والفتك بالحياة . فالدول القوية تعتمد في إقتصادها على صناعة الحروب والأسلحة التي تبيعها لإدامة ماكنة سفك الدماء وإستمرار الدمار والخراب , وكلما وجدت فرصة لتسويق أسلحتها فأنها تندفع نحوها بطيش وعنفوان , ولهذا فأنها تساهم في إيقاد النيران وتلويث البيئة بمنتجاتها الحربية المشبعة بالمواد الكيماوية والفيزيائية القتالة المحاققة لقدرات الأرض الحياتية . ومن هنا فأن إتفاقات الحفاظ على البيئة تبقى حبرا على ورق , إن لم تسعى الدول القوية إلى إيقاف عجلات الحروب , وإدراك أن إنتاج الأسلحة وتسويقها سيقضي على الأرض وليس العكس , فهذه القنابل الكونية لن تبقى ولن تذر , وسينقلب السحر على الساحر حتما , فلا مناص من مواجهة حقيقة أن البشرية بأسرها تعيش في بيت واحد هو الأرض , والجميع مسؤول على سلامة البيت والحياة فيه , وإلا فأنها القارعة وما أدراك ما هي!!

إنتقام الأرض منا!!

الأرض موجوعة بأبنائها ومفجوعة بخلقها , وهي كائن كوني حي له مزاجه وقدراته الدفاعية وطاقاته التدميرية العلنية والخفية , ولا يمكنها أن تقبل بما يتحقق على ظهرها من التفاعلات المشينة , التي تخزيها وتهينها أمام الأحياء الكونية الأخرى . فالأرض تبدو وكأنها تعد العدة للدفاع عن نفسها , وتحرير ترابها من طاقات الشرور والبغضاء والكراهية , وهي غاضبة وحزينة وتكظم ما فيها من النوازع والدوافع , التي لو أطلقتها لحطمت

أن ما يحصل في مجتمعاتنا يُغضب الأرض ويحزنها ويؤلمها , مما يساهم في إستحظار ما هو سلبي ووبائي وتدميري لكل من يساهم في صناعة الويلات والتداعيات ويستثمر في الخسران البهتان .

ما يحدث تكفي حرب واحدة في وقت واحد لتسويق السلاح , وتفريغ مخازنه مما إنتهت صلاحيته وكفاءته , وإنما لا بد من أكثر من حرب في ذات الوقت لكي تتواصل شركات الأسلحة بإنتاجها

بما أن إقتصاد الدول الكبرى يعتمد على السلاح أولا , فأن من واجبها أن تكون خبيرة وماهرة في صناعة الحروب ما بين المجتمعات التي تتناسى مصالحها ويكون من السهل الإيقاع بها وإستنزاف ثرواتها وقتل أبنائها .

هذا يعني أن النيران لن تهدأ والحروب ستنتامى وتتعد , والقتل البشري سيكون بأرقام هائلة وغير مسبوقه

أقدم التعازي مسبقا لأمتنا الأرض على ما سيحل بها في القرن الحالي من المصائب والويلات البيئية والبشرية والتدميرية الفائقة التخريب والترويع والفتك بالخلق والحجر

النسبة العظمى مما عليها من الموجودات.

والأرض ليست غيبية , وإنما تتمتع بذكاء فائق وتعرف قوانين كينونتها ومعايير صيرورتها , ومنطلقات تفاعلها مع غيرها من الكائنات والمجموعات , والكواب الدوارة المأسورة بمداراتها وآليات جذبها وتناظرها , وموازين كونيتها التي توَمّن ديموتها ونجاتها من آفات الإلتهاام الكوني اللهاب. وعليه فأن الأرض تبدو وكأنها تريد أن توقف البشر عند حده , وتعلمه ضرورات التعايش التفاعلي الخالي من الصراعات المهينة وسفك الدماء , الذي كرهه التراب ومضى يشتكى لأمه الأرض من إختناقه بما يتدفق من عروق الأبرياء والمساكين , المصروعين برصاص وشظايا الخطايا والآثام.

ولهذا فربما تعد الأرض عدتها لتطهير ظهرها من أسباب الموبقات ومفردات الآهات , وهي أفدر من جميع مخلوقاتنا على القيام بفعلها الرجيم , ويتضح مما يتحقق أن الأرض ربما ستطلق قواها اللامرئية ذات الطبائع المايكروبية والإعصارية , التي ربما ستحصد الخلق وتحيل الوجود الدنيوي إلى خواء.

فبرغم التقدم العلمي وتوهم البشر بأنه القادر على السيطرة على الأوبئة والأمراض السارية والمعدية , لكن الأرض تأتي أن تذعن لإرادة البشر , وتسعى لسيادة إرادتها والمحافظة على توازن ما عليها , فقدراتها محدودة , ولا طاقة لها بهذه الأعداد الغفيرة من المخلوقات , ولا بد لها من إعادة قوانين توازنها وتفعيلها بقوة وإرادة راسخة لكي تحافظ على بقائها , فالموضوع ما عاد يقبل التأخير أو التريث , لأن البشر صار قادرا على تدمير الأرض وتحويلها إلى ذرات غبارية , وطعما لأجرام سماوية أخرى تبحث عن الطاقة اللازمة للحفاظ على مناهج الدوران.

والأرض تكنز طاقات كبيرة , ولهذا فهي الهدف السمين والمغتم الثمين , ولن تسمح لمن فيها أن يقدمها على طبق من ذهب للآخرين , ولهذا فهي في مرحلة التحضير للإجهاز على بشرها العدوانى الذي لا يحترمها ولا يشكرها ولا يعزها , بل يتمادى في غيه وتجاهله لما يسببه لها من أخطار وويلات جسام.

وإن لم يرعوي البشر فأن الأرض ستمتشق أعاجيب ما فيها وتطمر من عليها , وتأسن بوحدتها بإنتظار خلق جديد يولد من بين ظهرانيتها , ويمضى في رحلة الدوران الصيروراتى البعيد.

فهل من معرفة عقل الأرض ومعايير سلوكها؟!

وختاما , إنها لحيرة بقائية ومواجهة إدراكية ذات إشراقات تنويرية , لكن الذين يسعون فوق التراب

في غفلتهم يعمهون , وعن معرفة الأرض ساهون!!

و"كلا إذا دكت الأرض دكا دكا" 89:21

و "وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً" 69:14

و"إذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا" 56:4

و"ألم نجعل الأرض كفاتا" 77:25

وتلك آيات الكتاب المبين , لألي ألباب يتفكرون ويعقلون!!!

الدول القوية تعتمد في إقتصادها على صناعة العروب والأسلحة التي تبيعها لإدامة ماكينة سفك الدماء وإستمرار الدمار والغراب

أن إتفاقات الحفاظ على البيئة تبقى حبرا على ورق , إن لم تسعى الدول القوية إلى إيقاف مجلات العروب , وإدراك أن إنتاج الأسلحة وتسويقها سيقضي على الأرض وليس العكس

لا مناص من مواجهة حقيقة أن البشرية بأسرها تعيش في بيت واحد هو الأرض , والجميع مسؤول على سلامة البيت والحياة فيه , وإلا فأنها القارعة وما أدراك ما هي!!

إنها لحيرة بقائية ومواجهة إدراكية ذات إشراقات تنويرية , لكن الذين يسعون فوق التراب في غفلتهم يعمهون , وعن معرفة الأرض ساهون!!



شبكة علوم النفس العربية

نصوليافة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد

مركز باصائل الأبحاث والدراسات النفسية
Bassaaer
وفي نفسيكم آفة تبحرون